٨ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الحرب والمحاربون

لا نريد أن يراعينا خيرة أعدائنا ، كما لا نريد أيضاً أن يراعينا من نحبهم من صميم الفؤاد

دعونى أعلن لكم الحقيقة

إننى أحبكم من صميم الفؤاد ، أيها الرفاق فى المعارك ، فما أنا الآن إلا ، كما كنت فى الأمس ، جندى مثلكم ، فأنا إذن من خيار أعدائكم . دعونى أعلن الحقيقة لكم

إننى عارف ما فى قلوبكم من حقد وحسد ، فأنتم من العظمة بحيث لا يمكنكم أن تتجاهلوا الحقد والحسد ؛ فلتكن عظمتكم رادعة لكم عن الخجل بما فى قلوبكم . واذا امتنع عليكم أن تكونوا أولياء فى معرفة الحق فكونوا على الأقل جنوداً يكافحون من أجل هذه المعرفة ؛ وما المكافحون الا طليعة الأولياء

لقد كثر عدد الجنود فليتنى أرى مثل هذا العدد من المحاربين ، وعسى ألا تكون سرائرهم على طراز واحد كالألبسة التى يرتدونها

لتكن أنظاركم منطلقة تفتش على عدو لكم ، وقد لاحت فى لمعانها بوادر البغضاء . عليكم أن تجدوا العدو لتصلوا معه حرباً تناضلون فيها من أجل أفكاركم ، حتى اذا سقطت هذه الأفكار فى المعترك ، ينتصب اخلاصكم هاتفا بالظفر

أحبوا السلام كوسيلة لتجديد الحروب ، وخير السلام ما قصرت مدته . إننى لا أشير عليكم بالعمل ، بل أشير بالكفاح ؛ لا أشير عليكم بالسلم ، بل بالظفر . فليكن عملكم كفاحاً وليكن سلمكم ظفراً

لا اطمئنان فى الراحة إذا لم تكن السهام مسددة على أقواسها . وما راحة الأعزل إلا مدعاة للثرثرة والجدال . فليكن سلمكم ظفراً . . .

تقولون إن الغاية المثلى تبرر الحرب ؛ أما أنا فأقول لكم إن الحرب المثلى تبرر كل غاية ، فقد أتت الحروب والأقدام بعظائم لم تأت بمثلها محبة الناس ؛ وما أنقذ الضحايا حتى الآن إلا إقدامكم لا إشفاقكم

إنكم تتساءلون عن الخير ، وما الخير إلا الاتصاف بالشجاعة ، فدعوا صغيرات الأطفال يقلن : (إن الخير فى اللطف والجمال)

يقولون أن لا قلوب لكم ، ذلك لأن قلوبكم تنبض بالاخلاص ، وأنا أحب تواضعكم فى إخلاصكم . إنكم تستحون لأن أمواجكم تندفع فى مدها ، وسواكم يخجل من تراجعها فى جزرها

إن قبحكم مريع ، فتدثروا به أيها الأخوة ، لأن فى دثار القبح ما ليس فى سواه من الروعة والبهاء

ان النفس لتقف صاخبة عند ما تمتلى ، والقسوة كامنة فى اعتلائكم ، فما خفيت حالكم عنى . ففى ميدان القسوة يلتقى الشديد العزم بمنهوك القوى فلا يمكنهما أن يتفاهما — إننى أعرف من أنتم

إذا ظفرتم بعدو فصبوا عليه بغضكم ؛ وحاذروا أن تصبوا عليه احتقاركم ، فما عدوكم الا مدعاة مباهاتكم ، فاذا عملتم بوصيتى يصبح انتصاره انتصاراً لكم أيضاً

إن الثورة مفخرة للعبيد ، فليكن افتخاركم أنتم قائما على طاعتكم . وليكن أمر الآمر فيكم جزءا من هذه الطاعة نفسها . إن المحارب الصادق يفضل ما يجب عليه على ما يريده . فعليكم أن توجهوا ما تؤمرون به الى هدف رغباتكم . وليكن حبكم للحياة تعبيراً عن أسمى أمانيكم ؛ ولتكن هذه الأمانى عبارة عن أرفع فكرة فى الحياة . وما أرفع فكرة لكم ، وأنا أستميحكم إبداءها لكم كأمر ، إلا هذه القاعدة : (ما الانسان إلا كائن يجب أن نتفوق عليه)

على هذا الوجه تمر حياتكم بالطاعة والجهاد ، فما يهمكم أطالت الحياة أم قصرت . فليس من محارب يطلب أن يُعامل بالمراعاة

لقد قلت لكم الحق بلا محاباة لأننى أحبكم من صميم الفؤاد ، أيها الأخوة فى السلاح

هكذا تكلم زارا . . .

الصنم الجديد

لم يزل فى بعض الأماكن من الأرض شعوب وجماعات ، أما نحن فليس عندنا سوى حكومات ، وما أدراكم ما هى الحكومات

أعيروني أسماعكم لأخاطبكم عن موت الشعوب : — ليست الحكومة إلا أبرد مسخ بين المسوخ الباردة ، فهي تكذب بكل رصانة إذ تقول : « أنا الحكومة ، أنا الشعب »

إياكم وتصديق ما تقول ؛ فما كون الشعوب إلا المبدعون الذين نشروا الأعمان والمحبة ؛ فأتوا بأجل خدمة للحياة . وما الناصبون الأشراك للجموع الغفيرة إلا من يهدمون كيانها ليشيدوا الحكومات على أنقاضها ، ويعلقوا نصلاً قاطعاً فوق رأس الشعب ، وينصبوا مئات الشهوات أمام عينه

إن الشعب ، حيث بقي له مرتع على الأرض ، لا يفهم ما هي الحكومة ، بل هو ينفر منها كما ينفر من العين الساحرة ، ويراها شذوذاً هادماً للشرائع والتقاليد . وإليكم هذا الدليل : إن لكل شعب بيانه عن الخير والشر ؛ وجيرة هذا الشعب لا تفهم هذا البيان الذي أوجده لنفسه محدداً به شرائعه وتقاليده ، على حين أن الحكومة تكذب في جميع تعابيرها عن الخير والشر ، فليس ما تقوله إلا كذباً ، وليس ما تملكه إلا نتاج سرقتها واختلاسها

إن كل ما للحكومة مزيف ، فهي تنهش بأسنان مستعارة ، وأحشاؤها مختلقة اختلاقاً ؛ وما شعارها إلاّ « البيان المبهم المشوّش عن الخير والشرّ » فهي تتجه به نحو الفناء ، وتقوم بنشره بدعوة صريحة للمنذرين بالموت

إنّ عدد من يدخلون الدنيا قد تجاوز الحد ، وما أوجدت الحكومة إلاّ لخدمة الفضوليين الدخلاء على الحياة . انظروا إلى هذه الحكومة كيف تجتذب إليها الدخلاء فتضمهم إلى صدرها وتشبعهم عناقاً وتقبيلاً . اسمعوها تهدر قائلة :

— ليس أعظم مني على وجه الغبراء ، فأنا يد الألوهية المنظمة

وعندما تهتف هذا الهتاف ، تتهاوى الركاب جاثية ، وبين الراكعين كثير من غير طوال الآذان وقصار النظر

إن هذه الأكاذيب تجد مصدقين لها وأسفاه حتى بينكم أنتم ، يا من تجول فيكم النفوس الأبية ، لأن الحكومة تعرف أن تدغدغ قلوبكم الطافحة بالمكارم ، الطامحة إلى الجود ، إنها التخترق سرائركم ، أنتم أيضاً ، يا من تغلبتم على الألوهية القديمة ، فهي تعرف أنكم تعبتم من الكفاح فتستخدم ملالكم لعبادة الصنم الجديد

إنه لصنم يتمنى أن يحيط به الأبطال وفضلاء الرجال ؛ إنه لمسخ بارد يريد أن يدفأ بشمس الضمائر المشعة المشرقة

إنه ليمنحكم كل شيء إذا أنتم سجدتم له . فهذا الصنم الجديد يشتري لمعان فضائلكم وما في لفتاتكم من عزة وكرامة . إنه في حاجة اليكم ليجتذب إليه المدد الفائض من الدخلاء على الحياة ، فهنالك البرج الجهنمي ، وهنالك جياد الموت تقرقع بمُدَدِها حاملة شارات المراتب والامجاد ؛ أجل ذلك هو اختراع الموت أتى به للجموع ليحصدها حصداً وهو يباهي بأنه هو الحياة ، والمنذرون بالموت يرون بفعلته خير خدمة لمبادئهم

حيث يكرع الجميع السموم ويضيع كل إنسان نفسه صالحاً كان أو طالحاً ، فهنالك تقوم الحكومة لأنها تسود كل مكان يوصف فيه الانتحار البطيء بالحياة

انظروا إلى هؤلاء الدخلاء . إنهم يختلسون ثمرة جهود المخترعين وكنوز الحكماء ويدعون هذا الاختلاس تمدناً ؛ غير أن كل شيء يصبح أدواء ومصائب تحت سلطانهم . أنظروا إلى هولاء الدخلاء وليس فيهم إلا الأعلاء ينفثون غسلين مرائرهم ، ويتحلون صفة الصحافيين . . . إنهم يتناهشون ويلتهم بعضهم البعض الآخر وليس لهم القوة على هضم ما يلتهمون

انظروا إلى هؤلاء الدخلاء ، إنهم يحشدون الأموال ، وكلما ازدادت ذخائرهم زاد فقرهم ، فانهم يطمحون إلى الاستيلاء على القوة فيبدأون بالقبض على محركها الأول : على الأموال الطائلة ، وما هم إلا الدخلاء العاجزون

أنظروا إليهم ! أنظروا إلى هؤلاء القرود يتسلّق بعضهم البعض الآخر فيتدافعون متمرغين في الأوحال على الشفير . إن كلا منهم يطمح إلى التقرب من العرش ، وقد عراهم جنون التوصل إليه ، فكأن لا سعادة إلا على مقربة منه ، وقد يرتفع رشاش الأوحال إلى العرش كما ينزلق العرش نفسه إلى الأوحال[1]

إنني أراهم وقد جُنّ جنونهم ، قروداً لا تسكن لهم حركة وهم يتسلقون قاعدة صنمهم البارد وقد انبعثت منه ومنهم أكره الروائح وأخبثها

(يتبع)

فليكس فارس

(١) لا يغرب عن القارئ الكريم أن نبتّه يعالج في هذا الفصل القضية الكبرى في مدنية الغرب ، وقد نشأت من استخدام أصحاب الأموال لنتاج عبقرية المخترعين وجهود المكتشفين في سبيل حشد الثروات الطائلة والتسلط بها على الحكومات ، وقد أصبحت مدنية الغرب من هذا الوضع الشاذ في حلقة مفرغة تبتدئ حيث تنتهي بين ملوك الحكومات وملوك المال ، وليس ، والحمد لله في الشرق أمثال لهؤلاء الملوك